

أسد الغابة

قال ابن إسحاق : فحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عمه حدثه قال : لما رأى عثمان ما يلقي رسول الله ﷺ وأصحابه من الأذى وهو يغدو ويروح بأمان الوليد بن المغيرة قال عثمان : والله إن غدوي ورواحي آمننا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل بيتي يلقون البلاء والأذى في الله ﷺ ما لا يصيبني لنقص شديد في نفسي . فمضى إلى الوليد بن المغيرة فقال : يا أبا عبد شمس وقت ذمتك قد كنت في جوارك وقد أحببت أن أخرج منه إلى رسول الله ﷺ فلي به وأصحابه أسوة . فقال الوليد : فلعلك يا ابن أخي أوديت أو انتهكت قال : لا ولكن أرضى بجوار الله ﷺ ولا أريد أن أستجير بغيره ! .

قال : فانطلق إلى المسجد فقال الوليد : هذا عثمان بن مطعمون قد جاء ليرد علي جوارتي . فقال عثمان : صدق وقد وجدته وفيها كريم الجوار وقد أحببت أن لا أستجير بغير الله ﷺ D وقد رددت عليه جواره . ثم انصرف عثمان بن مطعمون ولبيد بن ربيعة بن جعفر بن كلاب القيسي في مجلس قريش فجلس معهم عثمان فقال لبيد وهو ينشدهم : الطويل .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل .

فقال عثمان : صدقت . قال لبيد : الطويل .

وكل نعيم لا محالة زائل .

فقال عثمان : كذبت فالتفت القوم إليه فقالوا للبيد : أعد علينا . فأعاد لبيد وأعاد له عثمان بتكذيبه مرة وبتصديقه مرة وإنما يعني عثمان إذا قال : كذبت يعني نعيم الجنة لا يزول . فقال لبيد : والله يا معشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا ! .

فقام سفيه منهم إلى عثمان بن مطعمون فلطم عينه فاخضرت فقال له من حوله : والله يا عثمان لقد كنت في ذمة منيعة وكانت عينك غنية عما لقيت ! .

فقال عثمان : جوار الله ﷺ آمن وأعز وعيني الصحيحة فقيرة إلى ما لقيت أختها ولي برسول الله ﷺ A وبمن آمن معه أسوة . فقال الوليد : هل لك في جوارتي فقال عثمان : لا أرب لي في جوار أحد إلا في جوار الله ﷺ .

ثم هاجر عثمان إلى المدينة وشهد بدرا . وكن من أشد الناس اجتهادا في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل ويجتنب الشهوات ويعتزل النساء واستأذن رسول الله ﷺ A في التبتل والاختصاص فنهاه عن ذلك . وهو ممن حرم الخمر على نفسه وقال : لا أشرب شرابا يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني .

وهو أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين مات سنة اثنتين من الهجرة قيل : توفي بعد

اثنين وعشرين شهرا بعد شهوده بدرا وهو أول من دفن بالبقيع .

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن مهرا بن غيره قالوا بإسنادهم إلى محمد بن عيسى قال : حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان بن عمام بن عبيد بن القاسم بن محمد عن عائشة : أن النبي A قبل عثمان بن مظعون وهو ميت وهو يبكي وعيناه تهرقان . ولما توفي إبراهيم بن رسول A قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألحق بالسلف الصالح عثمان بن مظعون " . وروي أن النبي A قال : ذاك لابنته زينب عليها السلام . وأعلم النبي A على قبره بحجر وكان يزوره .

وروي ابن عباس أن النبي A دخل على عثمان بن مظعون حين مات فانكب عليه ورفع رأسه ثم حنى الثانية ثم حنى الثالثة ثم رفع رأسه وله شهيق وقال : " اذهب عنك أبا السائب . خرجت منها ولم تلبس منها بشيء " .

وروي يوسف بن مهرا بن ابن عباس قال : لما مات عثمان بن مظعون قالت امرأته : هنيئا لك الجنة ! .

فنظر رسول الله A نظر المغضب وقال : " وما يدريك " فقالت : يا رسول الله فارسك وصاحبك ! . فقال رسول الله A : " إني رسول الله وما أدري ما يفعل بي " ! . واختلف الناس في المرأة التي قال لها رسول الله A هذا فقيل : كانت أم السائب زوجته . وقيل : أم العلاء الأنصارية وكان نزل عليها . وقيل : كانت أم خارجه بن زيد . وقالت امرأته ترثيه : البسيط .

يا عين جودي بدمع غير ممنون ... على رزية عثمان بن مظعون .
على امرئ بات في رضوان خالقه ... طوبى له من فقيد الشخص مدفون .
طاب البقيع له سكنى وغرقده ... وأشرق أرضه من بعد تعيين